

الضرر

عناصر الموضوع

٢٣٢	مفهوم الضرر
٢٣٣	الضرر في الاستعمال القرآني
٢٣٤	الأنفاذ ذات الصلة
٢٣٦	الأساليب القرآنية في عرض الضرر
٢٤١	وسائل دفع الضرر
٢٤٧	آثار نزول الضرر

مفهوم الضر

أولاً: المعنى اللغوي:

قال ابن فارس: الضاد والراء ثلاثة أصول، الأول: خلاف النفع، والثاني: اجتماع الشيء، والثالث: القوة^(١)، والضر - بالفتح -: مصدر ضررته ضراً، ضد النفع^(٢)، والضر - بالضم -: اسم ما يضر، وهو عدم الخير، وهو كل ما ينال الإنسان من الهزال وسوء الحال، أي: ما كان من سوء الحال والفقر والشدة والبلاء في البدن^(٣).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

قال الراغب الأصفهاني: «الضر: سوء الحال، إما في نفس؛ لقلة العلم والفضل والعفة، وإما في بدنه؛ لعدم جراحة ونقص، وإما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه، كما في قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ ضُرٌّ﴾ [الأنبياء: ٨٤]. فهو محتمل لثلاثتها، وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ [يونس: ١٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾ [يونس: ١٢]. يقال: ضُرَّ ضُراً: جلب إليه ضراً.

وقوله: ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ [آل عمران: ١١١]. ينبههم على قلة ما ينالهم من جهتهم، ويؤمنهم من ضرر يلحقهم نحو: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ [آل عمران: ١٢٠]، و﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً﴾ [المجادلة: ١٠]، ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [الحج: ١٢]، وقوله: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣].

فالأول يعني به الضر والنفع اللذان بالقصد والارادة؛ تنبيهاً أنه لا يقصد في ذلك ضراً ولا نفعاً؛ لكونه جماداً، وفي الثاني يريد ما يتولد من الاستعانة به ومن عبادته، لا ما يكون منه بقصده^(٤).

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٦٦٣/٣

(٢) تفسير السمرقندي ١١٩/٢

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ٢١٠٨/٣، الصحاح، الجوهري ٦١٩/٢، المخصص، ابن سيده، ٧٠/٣، لسان العرب، ابن منظور، ٤٤/٨.

(٤) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٥٠٣-٥٠٤.

الضر في الاستعمال القرآني

ورد الجذر «ض ر ر» في القرآن الكريم (٧٤)، وتكرر لفظ «الضر» (٦٦) مرة^(١).
والصيغ التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل المضارع	٢٢	﴿وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٣٩]
المصدر	٢٩	﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ [يونس: ١٢]
اسم مصدر	٩	﴿وَالضَّالِّينَ فِي الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧]
اسم	١	﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْجَاهِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥]
اسم فاعل من الثلاثي	٢	﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرٍ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]
مصدر من الرباعي	٢	﴿وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضَرَارًا لِنَعْتَدُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١]
اسم فاعل من الرباعي	١	﴿مِنْ بَعْدٍ وَصِيَائِهِ يُوَصَّى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ [النساء: ١٢]

وجاء الضر في القرآن بمعناه في اللغة وهو: سوء الحال إما في النفس، أو البدن، أو المال^(٢).

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٤١٩-٤٢٠.

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٥٠٣.

الألفاظ ذات الصلة

١ البؤس:

البؤس لغة:

الباء والهمزة والسين أصل واحد: وهو الشدة وما ضارها. فالبأس: الشدة في الحرب. ورجل ذو بأس وبئس أي: شجاع. والبؤس: الشدة في العيش. والمبتس: المفتعل من الكراهة والحزن^(١)، قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧]. والبؤس هو والبأس: الشدة، والقوة، والضرر، والمكروب، لكن البؤس في الفقر والحرب أكثر، والبأس والبأساء في الشكاية والتنكيل أكثر^(٢). وقيل: البأساء والبؤس والضراء: الزمانة في الجسد^(٣)، وقيل: البأساء: الفقر والشدة، والضراء: المرض والزمانة^(٤).

البؤس اصطلاحاً:

لا يخرج عن معناه اللغوي.

الصلة بين البؤس والضر:

قيل: البؤس اسم بمعنى الشدة وهو الفقر والمسكنة، ومنه يقال: فلان في بؤس وشدة، وأما الضراء فالأقرب فيه أنه ورود المضار عليه من الآلام والأوجاع وضروب الخوف، وقيل: البأساء عبارة عن تضيق جهات الخير والمنفعة عليه، والضراء عبارة عن انفتاح جهات الشر والآفة والألم عليه^(٥).

٢ الأذى:

الأذى لغة:

أذى: الهمزة والذال والياء أصل واحد: وهو الشيء تتركه ولا تقر عليه^(٦)، والأذى قد يكون بالكلام أو بالفعل، قال تعالى: ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يَمْنُتُوكُمْ يُؤْلُوكُمُ إِلَّا دَبْرًا ثُمَّ

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٣٢٨.

(٢) الكلبيات، الكفوي ١/ ٢٤٩.

(٣) تفسير الصنعاني، ١/ ٦٦.

(٤) انظر: الكشف، الزمخشري، ١/ ٢٤٥، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٢٣٤، إرشاد العقل السليم،

أبو السعود، ١/ ١٩٤، وفتح القدير: الشوكاني، ١/ ١٧٣.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي، ٦/ ١٧-١٨.

(٦) مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٧٨.

﴿لَا يَضُرُّوْنَ﴾ [آل عمران: ١١١].

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ معناه: لن يصيبكم منهم ضرر في الأبدان ولا في الأموال، وإنما هو أذى بالأسنة^(١).

الأذى اصطلاحًا:

لا يخرج عن معناه اللغوي.

الصلة بين الضر والأذى:

الأذى: هو الألم الخفيف وهو لا يبلغ حد الضر^(٢).

٣ السراء:

السراء لغة:

اليسر، والضرء: العسر، وقيل: كثرة المال وقلته^(٣)، وقيل: السراء: الرخاء، والضرء: الشدة، وقيل: السراء في الحياة، والضرء بعد الموت^(٤).

السراء اصطلاحًا:

لا يخرج عن معناه اللغوي.

الصلة بين الضراء والسراء:

علاقة تضاد، فالضرء ضد السراء.

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية ١/ ٤٩٠.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣/ ١٩٢.

(٣) البسيط، الواحدي ١/ ٢٣٢.

(٤) فتح القدير، الشوكاني، ١/ ٣٨١.

الأساليب القرآنية في عرض الضر

عرض القرآن الكريم الضر في ثلاث صور مختلفة، وهي:

أولاً: نفي إلحاق الضر بالله تعالى:

الله تعالى منزّه عن أن يتضرر بكفر كافر وفسق فاسق^(١).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

[آل عمران: ١٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢) **إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** [آل عمران: ١٧٦ - ١٧٧].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ﴾ [محمد: ٣٢] وغيرها.

ومجمل أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ أن من يريد ضر الله تعالى، فما ضر إلا نفسه، بفوات الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الآخرة، بأن لا يجعل لهم نصيباً في الآخرة من ثوابه، وخذلهم فلم يوفقهم لما وفق إليه

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٨/٦٢.

أوليائه^(٢)؛ لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع^(٣)، وأنه غني عنه، وسيقيم دينه، ويعز عباده المؤمنين^(٤). وقيل: هذا تهديد معناه: هم يظنون الشقاق مع الرسول، وهم به يشاقونه، وليس كذلك، بل الشقاق مع الله، فإن محمداً رسول الله، ما عليه إلا البلاغ، فإن ضروا ضروا الرسل، لكن الله منزّه عن أن يتضرر بكفر كافر وفسق فاسق^(٥).

وبعضهم أول الآية ردّاً وإنكاراً؛ لظن الخوف^(٦)، والكلام على حذف مضاف، والمراد أولياء الله مثلاً؛ للقرينة العقلية عليه، وفي حذف ذلك وتعليق نفي الضرر به تعالى تشريف للمؤمنين، وإيدان بأن مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وتعالى، وفي ذلك مبالغة في التسلية^(٧)، وقوله: ﴿وَسَنُخْلِفَ رِجِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ [هود: ٥٧].

يعني: إن لم تؤمنوا به فلا تنقصون من ملكه شيئاً، ويقال: إهلاككم لا ينقصه شيئاً،

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٥٨.

(٣) الكشف، الزمخشري ١/٤٥٠.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، ٧/٢٥٢، وتفسير السمعاني، ١/٣٦٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/٢٢٦، والبحر المحيط، أبو حيان، ٣/٧٥، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١٥٠.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٨/٦٢.

(٦) انظر: المصدر السابق ٩/٨٥.

(٧) روح المعاني، الألويسي ٤/١٣٣.

ثانيًا: نفى إلحاق الضرر من المخلوق للمخلوق:

الله تعالى متولٍ أمورنا الدينية والدنيوية، فعلينا الرضا بأقداره وليس في أيدينا من الأمر شيء، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون، وليعتمدوا عليه وحده في جلب مصالحهم، ودفع المضار عنهم، وليثقوا به في تحصيل مطالبهم، وأما من توكل على غيره، فإنه مخذول، غير مدرك لما أمل^(٥).

وأنه لن يصيبنا خير ولا شر، ولا خوف ولا رجاء، ولا شدة ولا رخاء، إلا ما هو مقدر علينا مكتوب عند الله، وكونه مكتوب عند الله يدل على كونه معلومًا عند الله مقضيًا به عنده، فإن ما سواه ممكن، والممكن لا يترجح إلا بترجيح الواجب، والممكنات بأسرها منتهية إلى قضائه وقدره^(٦).

لذا ورد نفى إلحاق الضرر من المخلوق للمخلوق في آيات كثيرة، وبين الله فيها أن النفع والضرر لا يحصلان إلا بمشيئته^(٧).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضْلِلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُدُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النساء:

والآداب، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٧٧.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٣٩.

(٦) مفاتيح الغيب، الرازي ١٦/٦٩.

(٧) المصدر السابق ١٥/٦٨.

إن ربي على كل شيء حفيظ^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].

أي: لا تضروا الله بترك امتثال أمره بالنفیر شيئًا أو لا تضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك نصرته والنفیر معه شيئًا، ومن جملة مقدوراته تعذيبكم والاستبدال بكم^(٢).

والكناية -في قول الحسن- راجعة إلى الله تعالى، أي: لا تضروا الله؛ لأنه غني عن العالمين، وفي قول الباقر يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أي: لا تضروا الرسول؛ لأن الله عصمه من الناس، ولأنه تعالى لا يخذله إن ثاقلتم عنه^(٣).

روى مسلم بسنده عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني)^(٤).

(١) انظر: تفسير السمرقندي ١٥٦/٢، مفاتيح الغيب، الرازي ١٨/١٢، المحرر الوجيز، ابن عطية، ١٨٢/٣.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٣٦٢/٢.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٠/١٣٤، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/٣٥٩، روح المعاني، الألوسي، ١٠/٩٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة

[١١٣] دليل على ذلك، لذا قيل: وما يضررك هؤلاء الذين هموا لك أن يزيلوك عن الحق في أمر هذا الخائن من قومه وعشيرته من شيء؛ لأن الله مثبتك ومسدّدك في أمورك، ومبين لك أمر من سعوا في إضلالك عن الحق في أمره، ففاضحه وإياهم، فأنت يا محمد صلى الله عليه وسلم حفظت الله فحفظك وسدّدك^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

قيل هو: عيسى بن مريم، أي: لا يستطيع أن يضررك بمثل ما يضرركم به الله من البلاء والمصائب في الأنفس والأموال، ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب، ولأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبأقدار الله وتمكينه، فكأنه لا يملك منه شيئاً، وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضراً ولا نفعاً، وصفة الرب أن يكون قادراً على كل شيء لا يخرج مقدر على قدرته^(٢).

وهذا دليل آخر على فساد قول النصاري، وهو يحتمل أنواعاً من الحجّة، أن اليهود

كانوا يعادونه ويقصدونه بالسوء، فما قدر على الإضرار بهم، وكانوا أنصاره وصحابته يحبونه، فما قدر على إيصال نفع من منافع الدنيا إليهم، والعاجز عن الإضرار والنفع كيف يعقل أن يكون إلهاً؟^(٣).

فإذا كان هذا عيسى بن مريم الذي وصفه قومه بالألوهية والربوبية وغيرها من الأوصاف، ما استطاع دفع الضرر عن نفسه، ولا عن غيره، فغيره أعجز من أن يلحق ضرراً بغيره، إلا بإذنه تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الْقَالِينَ﴾ [يونس: ١٠].

قيل: هذا وصف لكل مخلوق أنه لا ينفع ولا يضر، وإنما النافع والضار هو الحق تعالى^(٤).

بعد أن تبين لنا نفي إلحاق الضرر من المخلوق للمخلوق إلا بإذن الله، فلا بد من الإرشاد إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار بالإتيان بالأسباب التي تدفع الضرر عن المخلوقين، والتي سيأتي بيانها -إن شاء الله-؛ لأن المنفي عنه هو استطاعة المخلوق للضرر، وليس نفي وقوع الضرر، فوقعه ثابت بإذن الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصِبُّوْا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ١٢/٥٢-٥٣.
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١٣٩/١٧، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٧٥.

(١) جامع البيان، الطبري ٥/٢٧٥.
(٢) الكشف، الزمخشري ١/٦٩٨.

يَعْمَلُونَ مِحْيَاطٌ ﴿١﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وفي الحديث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما، فقال: (يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فسال الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك فلن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) (٢).

ثالثاً: النهي عن إلحاق الضرر في التعامل:

١. والد المولود ووالدته.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَلَدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ الْوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ، يَوْلَدُهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

قوله: ﴿وَعَلَى الْوَلَدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ٣٤٦/١، المحرر الوجيز في الكتاب العزيز، ابن عطية ٤٩٨/١.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة، ٦٦٧/٤، رقم ٢٥١٦.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١٣١٧/٢، رقم ٧٩٥٧.

بِالْمَعْرُوفِ ﴿١﴾ أي: وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف، أي: بما جرت به عادة أمثالهن في بلدهن من غير إسراف ولا إقتار، بحسب قدرته في يساره، وتوسطه وإقتاره، كما قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

قال الضحاك: إذا طلق زوجته وله منها ولد، فأرضعت له ولده، وجب على الوالد نفقتها وكسوتها بالمعروف.

وقوله: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ الْوَلَدِهَا﴾ أي: بأن تدفعه عنها؛ لتضر أباه بتربيته، ولكن ليس لها دفعه إذا ولدته حتى تسقيه اللبن الذي لا يعيش بدون تناوله غالباً، ثم بعد هذا لها دفعه عنها إذا شاءت، ولكن إن كانت مضارة لأبيه، فلا يحل لها ذلك، كما لا يحل له انتزاعه منها لمجرد الضرار لها، ولهذا قال: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ، يَوْلَدُهُ﴾ أي: بأن يريد أن ينتزع الولد منها إضراراً بها.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ قيل: في عدم الضرار لقريبه، قاله مجاهد والشعبي والضحاك، وقيل: عليه مثل ما على والد الطفل من الإنفاق على والدة الطفل والقيام بحقوقها وعدم الإضرار بها، وهو قول الجمهور، وقد استدل بذلك من ذهب من الحنفية والحنابلة إلى وجوب نفقة

الأقارب بعضهم على بعض، وهو مروى عن عمر بن الخطاب وجمهور السلف^(١)، ومن هدايات الآية: أنه عبر عن الوالد بالمولود له؛ إيماء إلى أنه الحقيق بهذا الحكم؛ لأن منافع الولد منجزة إليه، وهو لاحق به ومعتز به في القبيلة، حسب مصطلح الأمم، فهو الأجدد بإعاشته، وتقويم وسائلها^(٢)، وفي الآية دلالة على: «على وجوب نفقة الأقارب المعسرين، على القريب الوارث الموسر»^(٣).

٢. الكاتب والشهود.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

قال الطبري رحمه الله: «معنى ذلك: ولا يضار كاتب ولا شهيد، بمعنى: ولا يضارهما من استكتب هذا أو استشهد هذا بأن يأبى على هذا إلا أن يكتب له، وهو مشغول بأمر نفسه، ويأبى على هذا إلا أن يجيب إلى الشهادة وهو غير فارغ، وإنما قلنا هذا القول؛ لأن الخطاب من الله عز وجل في هذه الآية من مبتدئها إلى انقضائها على وجه افعلا أو لا تفعلوا، إنما هو خطاب لأهل الحقوق والمكتوب بينهم الكتاب والمشهود لهم أو عليهم بالذي تداينوه بينهم

من الديون، فأما ما كان من أمر أو نهي فيها لغيرهم، فإنما هو على وجه الأمر والنهي للغائب غير المخاطب بكوله: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وكقوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وما أشبه ذلك، فالواجب إذا كان المأمورون فيها مخاطبين بكوله: ﴿وَأِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أشبه منه بأن يكون مردودا على الكاتب والشهيد، ومع ذلك إن الكاتب والشهيد لو كانا هما المنهيين عن الضرار لقليل: وإن يفعلا فإنه فسوق بهما، لأنهما اثنان، وإنما غير مخاطبين بكوله: ﴿وَلَا يُضَارُّ﴾ بل النهي بكوله: ﴿وَلَا يُضَارُّ﴾ نهي للغائب غير المخاطب، فتوجيه الكلام إلى ما كان نظيرا لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى ما كان منعلا عنه^(٤).

وقال ابن عاشور رحمه الله: «نهي عن المضارة، وهي تحتمل أن يكون الكاتب والشهيد مصدرًا للإضرار، أو أن يكون المكتوب له والمشهود له مصدرًا للإضرار؛ لأن (يضار) يحتمل البناء للمعلوم وللمجهول، ولعل اختيار هذه المادة هنا مقصود؛ لاحتمالها حكمين؛ ليكون الكلام موجهاً فيحمل على كلا معنييه؛ لعدم

(٤) جامع البيان، الطبري ٥/ ١١٧.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٤٧٧.

(٢) التحرير والتنوير ٢/ ٤١١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٠٤.

وسائل دفع الضرر

هناك عدة وسائل لدفع الضرر في القرآن الكريم، منها:

أولاً: الالتجاء إلى الله تعالى:

يخبرنا الله تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه لا ينبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، فإنه مالك كل شيء وخالقه وربّه، قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥٢].

قال ابن عباس ومجاهد: أي: دائماً، وقيل: واجباً، قيل: خالصاً، أي: له العبادة وحده ممن في السموات والأرض، كقوله تعالى: ﴿الْأَلوهَ الَّذِينَ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

ثم أخبر أنه مالك النفع والضرر، قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وأن ما بالعباد من رزق ونعمة وعافية ونصر فمن فضله عليهم، وإحسانه إليهم، وعلموا أن كل ما يتقلبون فيه من نعمة منه سبحانه، ثم أخبر سبحانه عن طبيعة الإنسان من حيث هو، إذا مسه الضرر، من مرض، أو مصيبة اجتهد في الدعاء، وسأل الله في

تنافيهما، وهذا من وجه الإعجاز.

والمضارة: إدخال الضرر بأن يوقع المتعاقدان الشاهدين والكاتب في الحرام والخسارة، أو ما يجر إلى العقوبة، وأن يوقع الشاهدان أحد المتعاقدين في إشاعة حق أو تعب في الإجابة إلى الشهادة. وقد أخذ فقهاؤنا من هذه الآية أحكاماً كثيرة تتفرع عن الإضرار؛ منها ركوب الشاهد من المسافة البعيدة، ومنها ترك استفساره بعد المدة الطويلة التي هي مظنة النسيان، ومنها استفساره استفساراً يوقعه في الاضطراب، ويؤخذ منها أنه ينبغي لولاة الأمور جعل جانب من مال بيت المال لدفع مصاريف انتقال الشهود وإقامتهم في غير بلدهم وتعويض ما سينالهم من ذلك الانتقال من الخسائر المالية في إضاعة عائلاتهم، إعانة على إقامة العدل بقدر الطاقة والسعة^(١) والآية تدل على النهي عن مضارة الكاتب والشهود.

(١) التحرير والتنوير ١/٣١٢.

جميع أحواله؛ قائماً وقاعداً ومضجعاً، وفائدة ذكر هذه الأحوال: أن المضرور لا يزال داعياً، ولا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر، فهو يدعونا في حالاته كلها^(١)، وألح في الدعاء؛ ليكشف عنه ضره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾ قال ابن عباس: يريد الأسقام والأمراض والحاجة، ﴿فَالْيَهُ تَبْتَغُونَ﴾ ترفعون أصواتكم إليه بالاستغاثة، يقال: جَارٌ يَجَارُ جُورًا^(٢)، ويقال: جَارُ الرجل إلى الله، أي: تضرع بالدعاء^(٣)، قال الأعشى: ^(٤)

فطافت ثلاثاً بين يومٍ وليلةٍ وكان النكير
أن تضيف وتجاراً

فذكر الله تعالى: أن الإنسان في وقت الكرب، يبتهل إلى ربه بالدعاء في جميع أحواله، فإذا فرج الله كربته، أعرض عن ذكر ربه ونسي ما كان فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّلَّذِي ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ

- (١) انظر: الكشف، الزمخشري ٣١٧/٢، مدارك التنزيل، النسفي ١٢٠/٢.
- (٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٤/١٢١، زاد المسير، ابن الجوزي، ٤/٤٥٧.
- (٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/١١٤.
- (٤) انظر: أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري، ٢١٧/١.

ومنهم من نسبته للناطقة الجعدي، انظر: شرح أدب الكاتب، الجواليقي ٩٩/١.

قَلِيلًا إِنَّكَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨]. وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩].

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ فَلَمَّا تَجَنَّزَكُمُ الْمَوْتَ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣]^(٥).

كل هذه الآيات تشير إلى لجوء الإنسان وقت الضر إلى إله واحد، أحد صمد، ولعلمهم أنه لا يكشف الضر إلا هو. حتى المشركون الذين عبدوا من دون الله أصناماً، يتوجهون إليها وقت الرخاء، إذا أصابهم الضر نسوا ما كانوا يعبدون من قبل، ورجعوا إلى الفطرة السليمة، وتضرعوا إليه تعالى؛ لعلمهم أنها لا تنفع ولا تضر، حتى فرعون الذي طغى وتجبر حين توسط البحر وعلم أن لا ملجأ من الله إلا إليه كما في قوله تعالى: ﴿وَجُوزُنَا بِبَنِي إِسْرَٰءِيلَ الْبَحْرَ فَأَبْنَاهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَغِيًّا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ

- (٥) انظر: تفسير السمرقندي، ١٥٢/٢، تفسير السمعاني ٣٦٩/٢.

والضرر، أي: ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله تعالى، كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فأرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة، فذهب هارباً فركب في البحر ليدخل الحبشة، فجاءهم ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني منكم إلا أن تدعو الله وحده، فقال عكرمة في نفسه: والله إن كان لا ينفع في البحر غيره، فإنه لا ينفع في البر غيره، اللهم لك علي عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن، فلاضعن يدي في يد محمد، فلاجدنه رءوفاً رحيماً، فخرجوا من البحر، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه^(٢)، وهكذا الإنسان حتى الكافر، إذا ضاقت به الحيل، ولم يجد منفذاً، لجأ إلى المنفذ الحقيقي، الذي لا ينسد.

ثانياً: اتخاذ الأسباب الواقية:

من وسائل دفع الضرر:

١. اتخاذ الأسباب الواقية قبل وقوع الضرر.

فالوقاية خير من العلاج، فكل من رزقه الله تعالى الهداية والسداد والتوفيق والرشاد، فإنه مستثنى من قوله تعالى:

(٢) صححه ابن الملقن في البدر المنير ٩/١٥٣، وعبدالحق الإشبيلي في الأحكام الصغرى ٥٤٩.

الْفَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ [يونس: ٩٠].

وكان من قبل يقول: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي أَنَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي فِئْتَيْنِ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطِيعُ إِلَهِ الْإِنسَانِ مُؤْتَوٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وقال تعالى عنه: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُؤَيِّدٍ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣].

فوجب على الإنسان أن يكون مشغولاً بالمنعم وقت النعمة، وملتجئاً إليه في كل أوقاته.

قال القرطبي: «وهذه الحالة التي ذكرها الله تعالى لا تختص بأهل الكفر، بل تنفق لكثير من المسلمين، تلين ألسنتهم بالدعاء وقلوبهم بالخشوع والتذلّل، عند نزول ما يكرهون، وتضرعوا لرفع ما نزل بهم من الضر ودفع ما أصابهم من المكروه، ومما يدل على أن الآية تعم المسلم والكافر، كما يشعر به لفظ الناس ولفظ الإنسان»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ﴾ [الإسراء: ٦٧].

نموذجاً للالتجاء إلى الله وقت الشدة

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٩٧/٨، فتح القدير، الشوكاني ٤٢٩/٢.

أن يستجيب الله له عند الشدائد والكره،
فليكثر الدعاء عند الرخاء^(٣).

٢. التقوى والصبر والتوكل.

قال تعالى: ﴿وَأِنْ نَصَبُوا وَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

في الآية الأولى يرشدهم الله تعالى إلى السلامة من شر الأشرار، وكيد الفجار، باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشئته، ومن توكل على الله كفاه، ثم شرع في ذكر قصة غزوة أحد وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين، والتميز بين المؤمنين والمنافقين وبيان الصابرين^(٤).

وقيل: فإذا أتيتم بالأسباب التي وعد الله عليها النصر - وهي الصبر والتقوى - فلن

﴿وَإِذَا مَنَّ الْإِسْلَامَ الضَّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢].

هذه الآية في وصف حال غير المؤمن، أما فالمؤمن فإنه يعرف الله في السراء والضراء، ولا تنقطع صلته بالله على أي حال كان، كما قال صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن)^(١).

فمن كان في وقت النعمة مشغولاً بالمنعم، لزم أن يكون وقت البلاء مشغولاً بالمبتلي. وإذا كان المنعم والمبتلي واحداً كان نظره أبداً على مطلوب واحد، وكان مطلوبه منزهاً عن التغيير مقدساً عن التبدل، ومن كان كذلك وقت البلاء، وفي وقت النعماء، غرقاً في بحر السعادات، واصلًا إلى أقصى الكمالات^(٢).

ومن شأنه أن يكون كثير الدعاء والتضرع في أوقات الراحة والرفاهية، حتى يكون مجاب الدعوة وقت المحنة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من سره

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم ٢٩٩٩.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ١٧/٤١-٤٣.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، ٤٦٢/٥، رقم ٣٣٨٢. قال الترمذي: غريب.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ١٠٧٨/٢، رقم ٦٢٩٠.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، ٦٨/٤، المحرر الوجيز، ٤٩٨/١.

واعلم أن المؤمن إذا ابتلي ببليّة ومحنة وجب عليه أن يكون راضياً بقضاء الله غير معترض بالقلب واللسان عليه، وإنما وجب عليه ذلك؛ لأن الله تعالى مالك على الإطلاق، ومالك بالاستحقاق، فله أن يفعل في ملكه ما يشاء، كما يشاء، ولأنه تعالى حكيم على الإطلاق منزّه عن فعل الباطل والعبث، فكل ما فعله فهو حكمة وصواب، وإذا كان كذلك فحيثئذ يعلم أنه تعالى إن أبقى عليه تلك المحبة فهو عدل، وإن أزالها فهو فضل، فحيثئذ عليه الصبر والسكوت وترك الغلق والاضطراب^(٤).

٤. إصلاح النفوس.

بفعل الخيرات ولزوم الشرع بما فيه من جهاد وأمر بمعروف ونهي عن المنكر، والاستقامة على الدين، وطاعة الله وغيرها. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥].

ذكر السمرقندي: من أسباب دفع الضر، ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: سئل عن هذه الآية فقال: إذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليكم بخويصة أنفسكم. وروي عمر بن جابر اللخمي عن أبي أمية قال:

(٤) المصدر السابق ٢٢/ ١٨١.

يضركم مكرهم، بل يجعل الله مكرهم في نحورهم؛ لأن محيط بهم علمه وقدرته، فلا منفذ لهم، ولا يخفى عليهم منهم شيء^(١).
٣. الرضا بقضاء الله وقدره.

ومثاله: ﴿وَأَتُوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].
وقوله: ﴿وَحَذِّبْكَ ضَعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَقِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

فجعلوه أسوة وقدوة عندما يصيبهم الضر^(٢).

إلا أن هناك من يرى أن الشكوى تقدح في الصبر، فبين العلماء أن الشكوى مع الرضا بقضاء الله لا تقدح في الصبر، وفي ذلك قيل: أليس أن الشكوى تقدح في كون أيوب صابراً؛ لأنه قال: ﴿إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ الآية؟

الجواب: قال سفيان بن عيينه رحمه الله: «من شكّا إلى الله تعالى فإنه لا يعد جزعاً إذا كان في شكواه راضياً بقضاء الله؛ إذ ليس من شرط الصبر استحلاء البلاء، ألم تسمع قول يعقوب عليه السلام ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]»^(٣).

(١) انظر: فتح القدير: الشوكاني، ٨٤/ ٢، ٨٥.

تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٤٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٢٩.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ١٧/ ٤١-٤٣.

سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية فقال: لقد سألت عنها خيرًا، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا أبا ثعلبة ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، فإذا رأيتم الدنيا مؤثرة وشحًا مطاعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليكم بنفوسكم، فإن من بعدكم أياما الصابر المتمسك يومئذ بمثل الذي أنتم عليه له كأجر خمسين عاملاً. قالوا يا رسول الله: كأجر خمسين عاملاً منهم؟ قال: لا بل كأجر خمسين عاملاً منكم)^(١).

وقيل: حفظ النفس من ملابسة المعاصي والإصرار على الذنوب^(٢).

وقيل: اجتهدوا في إصلاحها وكمالها والزمها سلوك الصراط المستقيم، فإنكم إذا أصلحتهم لا يضرهم من ضل عن الصراط، ولم يهتد إلى الدين القويم، إنما يضر نفسه، ولا يتم هدى الإنسان إلا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر^(٣).

وقال ابن زيد: معنى الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ في الاستقامة على الدين ولا يضرهم ضلال الأسلاف إذا اهتديتم^(٤).

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يقول: إذا ما أطاعني العبد فيما أمرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل إذا عمل بما أمرته به. وأخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس الآية: ما لم يكن سيئاً أو سوطاً^(٥).

ثالثاً: المصالحة والتفاهم:

وذلك بمصانعة أهل الدنيا لدينهم، وتحب أهل الآخرة لأخوتهم، وتخفي ذنبك بينك وبين ربك فإنك إن فعلت ذلك فلا يضرهم من ضل إذا اهتديت. وذلك بأن تحب من أحب الله من أحمر وأبيض، وأن تجتنب الغيب^(٦).

وقيل: اشتغال الإنسان بخاصة نفسه وتركه العرض لمعائب الناس والبحث عن أحوالهم، فإنهم لا يسألون عن حاله، فلا يسأل عن حالهم، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ١٢٣/٤، رقم ٤٣٤١، والترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، ٢٥٧/٥، رقم ٣٠٥٨. قال الترمذي: حديث حسن غريب. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ١٣٤٦، رقم ٢٣٤٤.

وانظر: تفسير السمرقندي، ١/٤٤٥-٤٤٥، معالم التنزيل، البغوي، ٧٢/٢.

(٢) البسيط، الواحدي ١/٣٣٨-٣٣٩، تفسير الجلالين، ص ١٥٨.

(٣) تفسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٤٦.

(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/٢٥٠.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٤/١٢٢٥-١٢٢٨.

(٦) الدر المنثور، السيوطي ٣/٢١٨.

آثار نزول الضر

لحوق الضرر بالإنسان له آثار ونتائج، منها:

أولاً: الإخلاص لله تعالى عند اشتداد الضرر:

عند اشتداد الضرر على الإنسان مسلماً كان أو كافراً، فإنه يعود إلى الله وحده كاشف الضرر، فينيب ويتضرع إلى الله تعالى، وقد بين الله ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ الضَّرْفُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا تَجَنَّكَ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾ [الاسراء: ٦٧].

وقوله: ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ أي: ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله، كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة، فذهب هارباً، فركب في البحر ليدخل الحبشة، فجاءتهم ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعو الله وحده. فقال عكرمة في نفسه: والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره، فإنه لا ينفع في البر غيره، اللهم لك علي عهد، لئن أخرجتني منه لأذهبن فأضعن يدي في يديه، فلأجدنه رءوفاً رحيماً. فخرجوا من البحر، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه، رضي الله عنه

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَٰكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ. وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الاسراء: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] (١).

ومن صور المصالحة والتفاهم في الإسلام، والتي كانت سبباً لدفع الضرر ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما وصل المدينة بالمصالحة مع اليهود وإبرام العهود، حتى يأمن المسلمون شرهم، واستطاع بذلك دفع ضررهم وأذاهم عن المسلمين.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٤٤/٦.

وأرضاه^(١).

ومعنى الآية: أن الكفار إنما يعتقدون في أصنامهم وسائر معبوداتهم أنها نافعة لهم في غير هذه الحالة، فأما في هذه الحالة فإن كل واحد منهم يعلم بالفطرة علمًا لا يقدر على مدافعته أن الأصنام ونحوها لا فعل لها^(٢).

وفي معنى هذه الآية جاءت آيات كثيرة، منها: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّدُ فِي اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبَيعٍ وَقَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣].

إلى غير ذلك من الآيات^(٣).

وقصة فرعون مع شدة كفره يعترف بالله ساعة الضر والهلاك ويرجع إلى فطرته، فالرجوع إلى الله تعالى من سائر الناس ساعة الكرب والشدة دليل على ما هو كامن في نفوسهم من الفطرة التي فطرهم الله عليها^(٤).

وخص الله الشدة في البحر بالذكر؛

لأن اليأس عند وقوع الشدة فيه أغلب. وهذه الحالة عند اشتداد الضر يستدل بها في إثبات وجود الله تعالى، ونفي الشركاء عنه تعالى، وقد ذكر الإمام الألوسي في تفسيره: «من اللطائف أن بعض الناس قال لبعض الأئمة: أثبت لي وجود الله تعالى ولا تذكر لي الجوهر والعرض. فقال: هل ركبت البحر؟ قال نعم، قال: فهل عصفت الريح؟ قال: نعم، قال: هل أشرفت بك السفينة على الغرق؟ قال: نعم، قال: يشت من نفع من في السفينة ونحوهم من المخلوقين لك وإنجائهم مما أنت فيه إياك، قال: نعم، قال: ذلك هو الله عز وجل فاستحسن ذلك»^(٥).

ثانيًا: بيان عجز الآلهة المزعومة عند اللجوء إليها حال الضر:

إن ما تم ذكره -سابقًا- من أن الكفار حينما يشتد عليهم الضر ينسوا آلهتهم ولا يرجعون إليها بل يرجعون إلى الإله الحق، الذي يملك النفع والضر، دليل واضح في إثبات عجز الآلهة المزعومة عن دفع ضر أو جلب نفع. وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على ذلك:

منها: ما ذكر مقارنة بين القادر الذي يخلق من العدم ثم يعيد الخلق من بعد فناءه، وبين العاجز وهو الآلهة التي يعبدونها،

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٩٦/٥.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٢٤٣/٣.

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي ١٧١-١٧٢/٣.

(٤) تفسير السمعاني ٢٦١/٣.

(٥) روح المعاني، الألوسي ١١٥/١٥.

فصفات الآلهة الضعف والعجز، وهي غير قادرة على الخلق، ولا تستطيع نصر نفسها ولا عابديها، لا تجيب ولا تستجيب، ولا تضر ولا تنفع، فاقدة كل الحواس، لا تملك من أمر نفسها شيئاً، كما صورها لنا سيدنا إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿فَرَأَى إِلَهَ الْهِنَمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (١١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿١٢﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ صَرِيحاً بِالْيَمِينِ ﴿[الصفافات: ٩١-٩٣].﴾

وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (١٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿١٦﴾ أَفِي لَكُمْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿[الأنبياء: ٦٣-٧٦].﴾

انظر كيف استطاع سيدنا إبراهيم عليه السلام إثبات عجز الآلهة وإقامة الحجة على عابديها. كما سترأ من عابديها يوم القيامة، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْكَذَابَ وَنَقَطَتْ بِهُمْ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

وقوله: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَهُمْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكَكُمْ وَلَا يَنْتَعِكُمْ مِثْلَ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤-١٣].

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَخْلُقُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تَزُكُّونَ﴾ [يونس: ٣٤].

ومنها: ما وضع الله فيه ثلاث احتمالات لإثبات عجز الآلهة.

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوْفُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُصْطَفُونَ ﴿[الطور: ٣٥-٣٧].﴾

والاحتمال الرابع هو أن يكون هناك خالق غير هذه المخلوقات وأن يتصف هذا الخالق بصفات لا تشبه صفات المخلوق وهو الاحتمال الصحيح.

وكذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام استطاع أن يثبت قدرة الله تعالى بإثبات عجز غيره ممن ادعى الألوهية، في ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَيُعْبَدُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تدل على عجز الآلهة عند اللجوء إليها في كشف الضر وبيان حقيقتها، وبطلان ألوهيتها^(١).

(١) منها: المائدة / ٧٦ والرعد / ١٦ وطه / ٨٩ والفرقان / ٣ والنمل / ٦٤ والمؤمنون / ٩١ والجن / ٩٢ والحجج / ٧٣-٧٤ والنحل / ٢٠-٢١ و

[١٤]

ويعرض عند الرخاء، كذلك المسرفون وهم المجاوزون الحد في الكفر والمعصية في عملهم»^(٣).

وقيل: يراد به المشركون الذين يرون أن للأصنام أفعالاً من الشفاء وجلب الخير ودفع الضر، فهم إذا شفاهم الله عظموا أصنامهم وأضافوا ذلك الشفاء لها^(٤).

إلا أن الله استثنى من هذه الصفات الذميمة من رزقه الله الهداية والسداد والتوفيق والرشاد من عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُمْ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْأَةٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١٠-١١]^(٥).

قال الفراء: هذا استثناء منقطع معناه: لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فإنهم إن نالتهم شدة صبروا، وإن نالوا نعمة شكروا، أولئك لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير هو الجنة^(٦).

فالمؤمن يزداد إيماناً بكشف الضر عنه، أما الكافر فيزداد طغياناً وكفراً، ومن ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته ضراء فصبر كان

فتستحيل الألوهية لمن يتصف بهذه الصفات.

ثالثاً: المشرك يزداد طغياناً بعد كشف الضر عنه، والمؤمن يزداد إيماناً:

هذا إخبار عن طبيعة الإنسان، وأنه إذا مسه ضر من مرض أو مصيبة اجتهد في الدعاء، وسأل الله في جميع أحواله، ألح ليكشف الله عنه ضره. فلما كشف الضر عنه استمر في غفلته معرضاً عن ربه وكأنه ما جاءه ضر، فكشفه الله عنه^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢].

مر طاعياً على ترك الشكر؛ لنسيانه ما دعا الله فيه وما صنع به، كما زين لهذا الكافر الدعاء عند البلاء والإعراض عند الرخاء^(٢). ذم الله تعالى من هذه صفته وطريقته فقال: ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وهذه صفات الكافر في الغالب، كما ذكر ابن الجوزي: «الكافر يدعو عند البلاء

(٣) زاد المسير، ابن الجوزي ١٣/٤.

(٤) المحرر الوجيز: ابن عطية ٤٠١/٣.

(٥) أضواء البيان، الشنقيطي، ١٥٢/٢.

(٦) معالم التنزيل، البغوي ٣٧٥/٢.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٥٩.

(٢) انظر: البسيط الواحدي، ٤٩١/١، معالم

التنزيل، البغوي، ٣٤٦/٢.

كما يشعر لفظ الناس ولفظ الإنسان^(٣)، وإن لم يغفلوا نهائياً كما يغفل الكافر، إلا أنهم يقل اجتهدهم بالدعاء، كما ذكر الله تعالى، أن الإنسان وقت الكرب يتهل بالدعاء في جميع أحواله، فإذا فرج الله كربته، أعرض عن ذكر ربه، ونسي ما كان فيه، كأنه لم يكن قط. وفيه مواضع كثيرة في القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٤].
وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ لَلْجُورِ فِي ظُهُبِهِمْ يُعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنَّةَ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ رِيحَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

فكل هذه الآيات تشير إلى أن فطرة

خيراً له، وإن أصابته سراء فشكر كان خيراً له^(١).

قال الألوسي: «فذا فسر الزمخشري بقوله: إلا الذين آمنوا فإن عادتهم إذا أتتهم رحمة أن يشكروا، وإذا زالت عنهم نعمة أن يصبروا، فلذا حسنت الكناية به عن الإيمان. ودلالة «صبروا» على أن العمل الصالح شكر؛ لأنه ورد في الأثر الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، ودلالة «عملوا» على أن الصبر إيمان؛ لأنهما ضميمتان في الأكثر، أي: الإيمان والعمل: آمنوا وعملوا، فغير مطابق لما نحن فيه أن يراد وجه آخر، كأنه قيل: إلا المؤمن الصالح الصابر الشاكر^(٢).

إلا أن بعض المفسرين يرى أن هذه الحالة التي ذكرها الله للداعي لا تختص بأهل الكفر وحدهم بل تتفق لكثير من المسلمين، كما نرى في أنفسنا، ونرى غيرنا، تلين ألسنتهم بالدعاء وقلوبهم بالخشوع والتدلل عند نزول ما يكرهون بهم، فإذا كشفه الله عنهم غفلوا عن الدعاء والتضرع، وذهلوا عما يجب عليهم من شكر النعمة التي أنعم بها عليهم من إجابة دعائهم ورفع ما نزل بهم من الضر ودفع ما أصابهم من مكروه، وهذا مما يدل على أن الآية تعم المسلم والكافر

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣١٧/٧، فتح القدير، الشوكاني ٤٢٩/٢.

(١) سبق تخريجه.
(٢) روح المعاني، الألوسي ١٦/١٢.

الإنسان مؤمناً كان أو كافر عند اشتداد الضر
يلجأ إلى الله تعالى، وإذا كشف الضر عنه
ازداد طغياناً وكفراً، إلا من رحم الله من
عباده المؤمنين، فإنهم يزدادوا إيماناً، خير
مثال لهم قدوتنا وحبيبنا المصطفى صلى
الله عليه وسلم، كان يصلي حتى تتفطر
قدماه شكراً لله تعالى على نعمه (١).

موضوعات ذات صلة:

الابتلاء، الأذى، الخير، الشر، الفتنة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، ٦/١٣٥، رقم ٤٨٣٧، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، ٤/٢١٧١، رقم ٢٨١٩.